يا فلان ماذا أعددت لإفتتاح مكتبة الإسكندرية

سنة ١٩٩٥ أو سنة ١٩٩٧ أو حتى سنة ٢٠٠٠

بقلم / رئيس التحـــرير

بعد أن انتهى الطبل والزمر والخطب والتصريحات والتسجيلات الصوتية والبصرية التى صاحبت إعلان اسوان ببدء مشروع إنشاء مكتبة الإسكندرية الجديدة أو مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة كما يحلو للبعض أن يطلق عليه وهو الإعلان الذى احتفل فى مدينة اسوان به فى ١٢ فبراير ١٩٩٠ والذى حدد فيه إفتتاح المكتبة وتشغيلها سنة ١٩٩٥. ولما لم يبق على نهاية العام سوى ثمانية عشر شهراً يجب أن نتوقف ونسأل ماذا تم من هذا المشروع وماذا يبقى منه وبأية خطى يسير؛ خاصة وأن المشروع لا تنقصه الأموال إذ جاءته التبرعات من كل حدب وصوب وأرضه جاهزة فلا يفتقر إلى شيء. كما أن خطوات الإعداد للتشغيل قد حددت سلفا ووزعت على السنوات الخمس بحيث لو نفذت فى موعدها لجاء الافتتاح والتشغيل فى موعده المحدد أيضاً. ولكن ما تم إنجازه فى اثنين وأربعين شهراً لا يتجاوز ٥٪ مما كان يجب أن يتم.

ولكى يكون هناك أساس للنظر والبصر فيما أنجز وما بقى، تصور المنظومة التالية الإطار الكامل لإعداد المكتبة للتشغيل لنضع عليها ما تم وعلى ضوئه نرى ما لم يتم.

إن إعداد المكتبة وتشغيلها يمر بأربعة محاور يندرج تحت كل منها عدد من العناصر تدور على النحو الآتى.

المحور الأول : ـ إدارة المكتبة

١ ـ المبنى والأثاث

٢ ـ الموظفون

٣ ـ الميزانية والتمويل

٤ ـ اللوائح والتشريعات

٥ ـ مواعيد العمل

المحور الثانى : ـ المجموعات

١ ـ الاتجاهات العددية

٢ ـ الاتجاهات النوعية

٣ ـ سياسة الاختيار وطرق التزويد

٤ ـ مسئولية الاختيار

٥ ـ التنقية والاستبعاد

المحور الثالث: ـ الإعداد الفنى والعمليات

١ ـ الفهرسة

٢ ـ التصنيف

٣ ـ التحليل الموضوعى

٤ ـ العلاقات العامة والدعوة المكتبية

٥ ـ الاستخدام الآلى

المحور الرابع: ـ خدمات المعلومات

١ ـ تيسير الإطلاع الداخلى

٢ ـ الإعارة الخارجية

٣ ـ الخدمات الببليوجرافية

٤ ـ الخدمات المرجعية

٥ ـ الإحاطة الجارية

٦ ـ البث الانتقائى للمعلومات

٧ ـ خدمات الاستنساخ والتصوير

٨ ـ الإرشاد والتوجيه

٩ ـ حجز المصادر

١٠ ـ خدمات الفئات الخاصة

وإذا استعرضنا عناصر هذه المنظومة واحداً بعد الآخر لنرى ماذا تحقق وما هو قيد التحقيق وما لم يتحقق لاستطعنا أن نحدد متى يمكن بدء تشغيل المكتبة.

فيما يتعلق بالمبنى كل ما تم هو استلام الموقع وطرح المسابقة المعمارية واختيار المشروع الفائز وطرح مناقصة التنفيذ؛ ولم يبدأ وضع لبنه واحدة فى المبنى حتى الآن فهل يمكن الانتهاء من المبنى فى خلال عام. إن مجرد إقامة الهيكل الخرسانى يستغرق عدة أعوام فما بالنا بالتجهيزات الداخلية والتشطيبات أما الأثاث وهو فى حد ذاته قضية أساسية فلم يتخذ بشأنه حتى الآن أى إجراء فلا وضعت كراسة المواصفات ولا شروطه ولا مناقصة ولا بدء تصنيع وننبه إلى أن قضية التأثيث أخطر من قضية المبنى نفسه وتستهلك وقتا وجهداً كبيرين لتنوع وكثرة فئات الأثاث المطلوبة.

أما قضية الموظفين فهى تدعو إلى كثير من علامات الإستفهام حيث يستعان الآن بعدد محدود من الموظفين ليس من بينهم مؤهل واحد وبعقود قصيرة الأجل ومكافآت هزيلة ورغم أن خطة العمل كانت تقضى بإرسال عدد من العاملين للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه فى مجال المكتبات والمعلومات وذلك منذ سنة ١٩٩١، وتنظيم دورات تدريبية متقدمة وتوفير الخبراء فى المجالات المكتبية المختلفة.

لا تستطيع إدارة المكتبة المؤقتة الموجودة حاليا أن تشكو نقصاً فى الميزانية أو تعثراً فى التمويل فكل شيء فى هذا الصدد استقر واتضح وتحت التصرف ولا عذر للإدارة إن هى تقاعست عن الانفاق.

لم توضع للمكتبة حتى الآن لائحة تنظم العمل فيها وتحدد علاقاتها كما لم يوضع «دليل إجراءات» يتناول التفاصيل والجزئيات المتعلقة

بالعمل اليومى داخل المكتبة، ولم تعلن مواعيد فتح المكتبة أمام جمهور القراء.

وإن من أبسط قواعد تشغيل المكتبة هى تحديد هوية للمكتبة لأن كل شيء بعد ذلك ينبنى على هذه الهوية وخاصة تشكيل المجموعات: هل مكتبة الاسكندرية مكتبة عامة (بديل لمكتبة البلدية أو نظيرتها) ؟ هل هى مكتبة وطنية (نظير لدار الكتب المصرية أو بديل لها) ؟ هل هى مكتبة لجامعة الإسكندرية (خاصة أن الفكرة جاءت من الجامعة ثم أعلنت مشروعاً قومياً بعد ذلك). أم هى مكتبة متخصصة لحوض البحر الأبيض المتوسط ؟.

لابد من تحديد هوية للمكتبة ووضع سياسة تزويد مكتوبة ومحددة بناء على ذلك بدلاً من العشوائية التى تتم بها عملية جمع مصادر معلومات فى كل اتجاه ومن كل لون ولغة وبطرق مختلفة. ولا أعتقد أن فتح المكتبة بمائتى ألف مجلد ودورية سيتم فى موعده المحدد (٢٦ يوليو ١٩٩٥) لأن ما تجمع حتى الآن لا يحقق إلا جزءا يسيرا من هذا الرقم الذى يخلط بين الكتب والدوريات.

إن العمليات الفنية التى تتم الآن لما يتجمع من مواد تسير سيراً بطيئاً وطالما أن الذين يقومون بها غير متخصصين ولم يدربوا التدريب الكافى فإن الأخطاء الفنية كثيرة وأول الأخطاء استخدام ديوى العشرى فى تصنيف المجموعات وأوليات هذا التصنيف أنه يفشل مع المجموعات التى تربو على مائه ألف قطعة فهل يمكن تدارك الأمر من الآن حتى لا يستفحل الخطأ ويصعب تجاوزه.

وحسنا أن إدارة المكتبة تصدر من الآن نشرتها التى تعرف بالمشروع وتربط المهتمين به. بيد أننا لا يمكن أن نتحدث عن إدخال النظام الآلى الكامل إلى المكتبة والذى كان مقرراً له تاريخ ١٩٩١ ـ ١٩٩٥؛ لأن المبنى أصلاً لم يبدأ العمل فى إنشائه. وهذا النظام لا يمكن أن ينبت فى فراغ. ولكن يجب التفكير من الآن فى وضع خطة الميكنة وتحديد خطواتها فى علاقتها بأقسام المكتبة ووحداتها لأن تركيب النظام هو الآخر يحتاج إلى وقت وجهد شأنه فى ذلك شأن الأثاث.

إن الخدمات المكتبية وخدمات المعلومات لا تبدأ حقاً إلا بعد تشغيل المكتبة ولكن لابد من التفكير فى كل خدمة من قبل تصميم المبنى لأن كل خدمة تقدمها المكتبة يجب أن تترجم إلى حيز وأجهزة وأثاث وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن تيسير الإطلاع الداخلى لابد أن يبدأ بتحديد عدد القراء الذين يستخدمون المكتبة داخليا فى وقت واحد وإعداد أماكن تناسب هذا العدد فيما يعرف بالطاقة الاستيعابية، كما أن هذه الخدمة يجب أن تترجم إلى مناضد قراءة ومقاعد وخلوات بحث وصوامع اطلاع بل ويجب أن تترجم إلى تهوية طبيعية وصناعية وإلى ضوء طبيعى وصناعى ويقاس على هذه الخدمة سائر الخدمات التى أتينا عليها فى المحور الرابع للتأكيد على أن جذور هذه الخدمات إنما تمتد إلى ما قبل تصميم المبنى وتحديد الموقع.

ومن هذا المنظور يمكننا القول بأن ما تحقق هو أقل القليل فى زمن طويل وما لم يتحقق هو الكثير

وليس أمامه سوى زمن يسير، ما تحقق لا يتجاوز ٥٪ وما بقى هو ٩٥٪ وإن كانت الـ٥٪ قد تحققت فى ثلاث سنوات ونصف فهل علينا إذا سار العمل بنفس المعدل أن ننتظر ستين عاماً حتى تفتتح المكتبة ويبدأ تشغيلها!!

لقد بحّ صوتنا من كثرة ما نادينا بضرورة الاستعانة بالخبرة وأهل التخصص فى المشروعات المتخصصة وكم قلنا بأن زمن الهواة والحواة والأطباء الحفاة قد ولى وانقضى وحل محله زمن المؤهلين والمتخصصين.

إننى من هذا المنبر أطالب بتشكيل لجنة من المتخصصين على المستوى الوطنى للإدارة المؤقتة لهذه المكتبة ريثما يشكل لها مجلس إدارة دائم يضم بين ما يضم عناصر متخصصة مجربة.

أيها المفكرون والمثقفون.. أيها المكتبيون صلوا من أجل مكتبة الإسكندرية لعل صلاتكم تقبل ودعواتكم تستجاب.

رئيس التحرير

أ . د شعبان خليفة

obeikandl.com